الفصل العاشر

اليوم أراكى أمي ها هو العنوان معي، ساعات وأكون عندك، كل ما أرجوه أن لا أرى زوجك.

كان يومًا مرهقا بالنسبة لي، ولكن هناك قوة خفية تدفعني إليك أمي، أنا في طريقي إليك، رغم خوفي ورهبة الموقف منذ ذلك اليوم لم أرملامحك ولم أسمع صوتك ترى هل أنت سعيدة، هل تفكرين بنا كما هو حالي، دقائق وأقرع جرس البيت، أستغرب وجودك بمثل هذا الحي الشعبي، ألم يكن يريد شراء بيت لك ليعوضك عن كل المعاناة، أين الاستقرار الذي وعدك به، الرفاهية، المهم أن تكوني سعيدة، قرعت الجرس فتحت لي فتاة في العقد الثلاثين من عمرها، سألتها عن والدتي، قالت نعم هي تسكن هنا، الحمد لله أنك أتيت

لزيارتها، ماهي صلة القرابة، قلت هي والدتي، حسنا تعالي هي تقيم في هذه الغرفة.انتابني شعور مؤلم لما سمعته

والدتي تسكن في غرفة مع جيران !!

دخلت لم أتوقع ما رأيت، كل شيء كان بعيدًا عن توقعاتي

كانت ممدة على سريرها، أنهكها المرض والحزن يبدو عليها، يمكن توقع أمور كثيرة ولكن أن تكون فقدت القدرة على الحركة والمشي، أسرعت إليها رغم حالة الذهول التي سيطرت على ملامحي، وكأني في حضرة سيدة أخرى ليست أمي.

جلست بجانبها على السرير، قبلت يديها ودموعها تنزل دون توقف.

مابك أمي ماذا حدث؟ أين زوجك؟ لما أنت وحيدة؟

تعالى صوت بكائها كأنها طفلة صغيرة أخذ منها كل ماتحب

-طلقني.

- لماذا؟ ماذا حدث، كان ينتظر وفاة والدي ليحقق لك تلك الحياة التي حلمت بها جعلك تعيشين بحلم كاذب سحرك به.

ونال مني ومن أختي ورفضت التصديق، هل سرق منك حلمك الذي أخذك منا.

- أعتذر أمي لا أقصد اللوم ولكن حزني على ما وصلت إليه هو ما دفعني أن أقول ما قلت، أخبريني ماذا حدث؟ تجاهلت ما قلت لها عنه

- طلبت منه أن يشتري لي بيتًا نعيش فيه مثل زوجته الأولى.كانت وعوده مؤجلة اليوم وغدًا وضاق صدري من هذه الغرفة التي أسكنها وهو لا يأتي إلا مرة واحدة في الأسبوع قلت له:

- إما أن تشتري لي بيتا أو الطلاق. راعني ما كان منه وكأنه كان ينتظر مني أن أطلب منه هذه الكلمة طلقني وتركني بهذه الغرفة ومن حينها وأنا طريحة الفراش وتلك الفتاة التي فتحت لك الباب هي من تعينني على قضاء حوائجي.

- لماذا لم تعودي لبيتك، نخدمك ونعتني بك؟!

- كيف أعود وأنا هكذا. أمسكت يدها وقبلتها ثم أخذتها لصدري كانت كطفلة تاهت عن صدر أمها، الذي وجدته بعد طول غياب. لا عليك اطمئني سأهتم بك وأعالجك وستشفين بإذن الله. جلست معها قليلا وأخبرتها أنه يجب أن أذهب إلى العمل وسأعود بعد انتهاء العمل على الفور لن أتركك حتى تتماثلين للشفاء.

- حقا ستعودين حياة!! كنت أتوقع منك ذلك لم أشك يوما بحنانك.

- خرجت من عندها ويتملكني مزيج بين الحزن والحيرة والخوف أن تبقى على وضعها، لم أذهب إلى العمل مباشرة ذهبت إلى طبيب أستشيره وعدت دون أن أجد الحل المناسب قررت بعد انتهاء العمل أن أصطحب معي الطبيب إلى المنزل حتى يحدد حالتها وأعرف ما يمكن عمله.

مضى اليوم دون أن أتكلم مع أحد، صورتها أمامي وهي ضعيفة منهارة، كنت صامتةً صمت الأموات، استغرب الجميع في المكتب حالي إذ أنهم لم يعتادوا رؤيتي على هذا الحال. انتهى ذلك اليوم الكئيب وعدت إلى والدتي ومعي الطبيب بعد أن فحصها كانت الحيرة بادية على وجهه نظرت إلي والدتي وكأنها تستجدي بي خرجت والطبيب لأعرف ماحال أمي مئات الأسئلة تهاجم رأسي هل ممكن أن تبقي في فراشك؟أين حيويتك؟أين نشاطك؟ أين الأنثى التي بداخلك؟

ماذا فعل بك ذاك الحقير؟ أي سم أعطاكِ؟ كيف وكيف

- آنستي ألا تريدين معرفة حالة المريضة، من تكون بالنسبة لك

- إنها والدتي، أخبرني أرجوك ما هي حالتها، هل هذا شلل؟ ستبقى بحالتها تلك. أرجوك أخبرني إنها شعلة من الحيوية إنها الحيوية والنشاط ذاته.

- تمهلي يابنتي حالتها ليست شللًا. إذا استطعنا علاجه

-ما هو إذا أخبرني

- أنا أشك أنها حالة ديسك ولكن لا أستطيع أن أجزم قبل إجراء صورة ظليلة بعد إعطائها تلك المادة بالعمود الفقري.. بعدها يمكن أن نقرر إذا أثبت أنه ديسك يجب إجراء عملية سريعة. لا أخفيكِ العملية ليست بالشيء السهل ولكن المهم الآن يجب أن نجرى لها صورة شعاعية وبعدها نستطيع أن نقرر حالتها، وماهو العلاج المناسب.

- المهم أن تعود والدتي لحالتها كسابق عهدها.

- ذهب الطبيب وعدت لوالدتي وهي تنتظر مني كلمة بلهفة لا تخلو من الخوف أخبرتها بما قال الطبيب رغم دموعها ومرضها وخوفها، لكنها قوية كما عرفتها دائما قررنا في صباح اليوم التالي أن نذهب لإجراء الصورة الإشعاعية أمضيت تلك الليلة إلى جانبها، تخبرني بما حدث معها في هذه الفترة.

وبدوري أخبرتها بالتطورات التي مرت معي ومع لمى